د. أيمن حبيب

عبدالله.. زعيم عصري بمواصفات فارس أسطوري

● المسافة بين ذلك الفارس العربي الأصيل.. القادم من أعماق الصحراء.. والملك العصري المتحضر ليست كبيرة فحسب بل شاسعة مترامية الأطراف كتشعب خيوط الشمس وصفاء سواد الليل..

بلور فارس الخريطة حدود عالمه وطموح قيادته عندما قرر ولوج صفحات التاريخ ويرصع أسطرها بإنجاز (إنساني) ومتطور إلى أبعد حدود ما يتفوق فيه قائد على مواجهة تحديات زمنه وصعوبات بيئته وأعباء وطنه وأمته الجسام..

عندما امتطى صهوة المستقبل الوثاب.. ارتكز على حقائق التاريخ وحضارات الأمم متخذا منطلقين رئيسين ليحقق بهما منجز حياته الأثير والمتميز.. والأندر:

أولا: حضارية الدين العالمي الأعظم..

ثانيا: أصالة عربية شامخة كرمها الله بجعلها ـ لغة ـ كتابه العظيم فتشبث الفارس الفطري الملهم بهاتين الركيزتين لينسج بهما.. طموحاته.. أحلامه.. تطلعاته.. رؤيته.. بصيرته الثاقبة.. فنشأت تلك العلاقة المتلازمة بين فروسية الفكر.. وفكر الفارس ومضمار البطولات ـ الصحراء ـ وعبدالله بن عبدالعزيز.. الذي أضفى بسمات طرازه الإنساني الفريد ترابطا وثيقا طغى على كل المكتسبات الأخرى: حيث يزداد قيمة وأهمية عندما تضاف لها بصمة عبدالله بن عبدالعزيز بشفافيته الإنسانية المرهفة وفكره الخلاق النير.. وعطائه المتدفق كشلال الخير الذي لا يتوقف عند حد معين..

هذا هو عبدالله بن عبدالعزيز .. أحب ـ الرب ـ كما يفضل أن يقول فأحبه الخالق عز وجل واختصه بخصائص قل أن يلقاها عظام الرجال فجمع في خصاله المتميزة بين وقار الزعامة وشموخ الأصالة وكساها ملامح شخصه المتواضع إلى حد ـ الحياء ـ الأخاذ.. وفي إنسانيته التي تذرف الدمع بلا تردد ولا ادعاء لكل ما يهز الضمير ويحرك الوجدان، .. وفي سخاء عصره الذي فجر ينابيع الأرض والسماء فأشعلَ خارطة طموحه ومملكته الغالية الحبيبة بحراك تنموي لم يشهد الوطن الأشم له مثيلا أو نظيرا..

● في معترك الحكم ومصنع الرجال حظي الفارس الملهم بأعظم جامعات الدنيا ـ عبدالعزيز ـ الذي لم يشغله عن (أبوته) تأسيس المملكة الفتية لأنه كان يريد بنفس القدر أن يؤسس لها رجالا، أشداء من طراز فريد.. فكان ـ عبدالله ـ من بينهم وربما من أكثرهم حبا للقراءة والفكر والثقافة، حيث وفرت له تلك الجامعة النادرة ـ صفوة ـ علماء العصر ومفكريه.. يحادثهم يلتقيهم.. يناقشهم.. يتعلم منهم.. يوقرهم بل ينزلهم منزلة خاصة ليس على امتداد خارطة الوطن فحسب بل على اتساع خارطة الإسلام والعروبة والحضارة والفكر الإنساني ..

● عندما تعهد الحرس الوطني (الفرقة العسكرية البدائية) برعايته واهتمامه اللامحدود.. جسد حبه للتحدي وتحمل الصعاب ضمن مكتسبات نضوج تجربة الحكم لديه.. لم يكن بناء هذه المؤسسة العسكرية الإنسانية المتطورة مجرد دور وظيفي عابر.. بقدر ما كان عنوانا مهما في تكون شخصية الفارس القائد عبدالله بن عبدالعزيز.. ليطلق العنان لطموحه اللامحدود في فضاء الصحراء الرحب ويطرز الأحلام الكبيرة برائحة عشق الوطن.. والاعتناء بغراسة الأهم والأكمل (رجال ونساء الوطن) حتى أن مفهوم القوة العسكرية كاد يتوارى في خضم أولويات بناء الإنسان التي كرسها (رئيس) الحرس الوطني لتلك الشريحة الاجتماعية المتميزة.. وربما أن الصورة الأنصع ـ منحوتة ـ في ذهن الرئيس الملهم لهذا الكيان الذي شهد تحولا جذريا من مرحلة الجهل والمرض والتخلف إلى مرحلة البناء والنماء والتطور العصري الحديث.. ولذلك لم يكن غريبا على الفارس العربي الأصيل الذي طالما اعتد بدينه وعروبته وأصالته أن يطلق فارس الفكر أيضا في فضاء الجنادرية الرحب مجددا أمجاد ومكتسبات أمة.. أسواق: عكاظ وذو المجاز وذو مجنة وكل مراتع الأدب والفكر العربي الذي حلق وحلق كثيرا في فضاءات الجنادرية.. إبداعا .. تألقا.. وتجديدا.. وتفاعلا.. وتكريما وفروسية..

● لقد جسد الفارس القائد شغفه بفكر أمته وأصالتها عبر أكثر من محفل ليس الجنادرية مضمارها الوحيد ولا إعادة تجديد سوق عكاظ ولا إطلاق الجوائز الأدبية والتقديرية ومعارض الكتب ورعاية الكتاب ولا القنوات الإعلامية العديدة ولا حتى المنظمات الفكرية الثقافية المتنوعة التي تعد أحد أبرز وجوهها وإنما كل ذلك بل أكثر من ذلك بكثير مجسدا إيمانه بالثراء الفكري العالمي الناتج عن التلاقح الحضاري والعقائدي الإنساني فأنتج للإنسانية والعالم حوار أتباع الأديان والثقافات ومحاربة الإرهاب وجائزة الترجمة العلمية لاختصار المنجزات الإنسانية وتطعيم الحضارة العربية الإسلامية بها.. هذا عدا ما أطلقه من مبادرات سياسية واقتصادية خيرة لصالح الإنسانية والعروبة والإسلام.

● إن ما ينجزه القائد الملهم ـ عبدالله بن عبدالعزيز لا يثمن بسنوات حكمه الحافلة بالعطاء، كما لا يمكن النظر إليه بلغة الأرقام الجامدة ولا بالرصد الإعلامي الآني العابر.. وإنما بحجم آثاره وتأثيراته في الفكر الإنساني والحضاري على المدين القريب والبعيد لأن هذه المكتسبات التي هي نتاج خصائص عبدالله و(مرحلة) عبدالله.. ستقيم منجزاتها عبر الزمن الذي يحسب الفروسية الزعيم العصري، والمتطور رهانه الكبير على المستقبل و(التميز).. فبقدر ما تحالف عبدالله بن عبدالعزيز مع الماضي ومكتسباته التاريخية بقدر ما سافر نحو آفاق المستقبل بأحلامه وطموحاته فأوجد النقلة التطويرية التعليمية الرائدة حتى أنه قفز بالتعليم العالي من (٨) جامعات في بداية عهده إلى أكثر من ٣٠ جامعة وأعاد تجسير العلاقة مع العلوم العصرية المتقدمة وبناء عقل الإنساني السعودي عبر ضخ ـ جحافل ـ المبتعثين إلى أصقاع الدنيا ليتلقفوا العلوم الحديثة ثم يعيدوا تقديمها لوطنهم المعطاء..

كل هذا الحراك يحدث والوطن برمته يتحول إلى ورشة عمل لا تهدأ بدءا من أعظم مكتسبات هذا الوطن، مكة المكرمة، وفيها بيت الله الحرام والمدينة المنورة وتضم مثوى سيد ولد آدم، صلى الله عليه وسلم، وما تشهدانه من حراك كبير متمثل في التوسعات التاريخية الكبرى أو في مشروع خادم الحرمين الشريفين لتطويرهما .. بما في ذلك مشاريع الحج والعمرة وجسر الجمرات.. وشبكات الطرق والمطارات والقطارات.. وكذلك المدن الاقتصادية والاستثمارية وفي مقدمة كل ذلك توطين وتوطيد الاستثمار والاعتناء بالسعودة والارتقاء بالخدمات الأساسية ومحاربة الفساد وغير ذلك كثير وكثير..

● إن ما يميز سيرة إنجاز عبدالله بن عبدالعزيز الذي يفخر بلقب خادم الحرمين الشريفين وخادم الوطن والمواطن.. (التميز) وشغفه الكبير بالإنجاز المتميز في كل شيء حتى أن هذه العبارة تضيق آفاقها لتستوعب ما يسطره عبدالله من منجزات متميزة تحمل اسمه وقيمه وفكره وأخلاقياته ونبله ورحمته وإنسانيته وطموحه اللامحدود.. فهو بحق ملك عصري طموح حلق بآمال الوطن وتطلعاته بكل ألق وشموخ ورقي وتواضع وجال بفكره الثاقب آفاق العالم ليقدم لوطنه وشعبه الذي أحبه عصارة عطائه الأكثر تميزا في زمن مشرق بين حدائق غناء في زمن اسمه وعنوانه وتاريخه عبدالله بن عبدالعزيز.

سعيد السريحي

الملك عبدالله والقرارات النوعية التأسيسية

لا يحتاج المرء إلا أن يكون عادلا ومنصفا ونزيها وصادقا مع نفسه لكي يستشعر حجم النقلة الحضارية التي مرت بها المملكة خلال السنوات السبع التي مرت منذ أن تولى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز مقاليد الحكم في المملكة، وهي نقلة عبرت عن نفسها من خلال جملة من المنجزات في مختلف جوانب التنمية وعلى مختلف الأصعدة يلمسها المواطن والمقيم ويشهد بها القاصي والداني ويدرك أبعادها الأفراد كما تثمن قيمتها المؤسسات. ورغم ذلك فإنه إذا ما كانت المعاصرة حجابا فإن جزءا كبيرا مما تحقق من تغيير يظل غائبا عن مجال وعينا به، ذلك أن من هو داخل حركة التاريخ يظل جاهلا ببعض جوانب هذه الحركة وهذا يعني أن المستقبل سوف يكشف لنا حجم التغيير الذي تحقق والنقلة الحضارية التي تمت في عهد الملك عبدالله، وإذا كانت كثير من قرارات الملك عبدالله قرارات تأسيسية وكثير من المشاريع لا تزال في طور التنفيذ فإن ذلك يعني أن الأثر الحقيقي للملك عبدالله سوف تكون معالمه أكثر وضوحا وبروزا في المستقبل القريب، كما أن هذه القرارات والمشاريع هي القاعدة التي ينبني عليها مستقبل الوطن وهي الأساس الذي يتم رسم خطوط هذا المستقبل بناء عليه.

قرارات ومشاريع تأسيسية

ثمة قرارات نوعية تاسيسية صدرت في عهد الملك عبدالله ومشاريع نوعية تم تأسيسها وتدشينها في عهده الميمون وهي مشاريع لا تحسب باعتبارها تراكما للمنجزات واستمرارا في الخطط التنموية المرصودة أو إضافة لها بقدر ما تحسب باعتبارها طفرة نوعية في التنمية وصياغة الإنسان السعودي القادر على التعامل مع المستقبل ومواجهة تحدياته وإذا كانت ثمة قرارات واضحة في هذا الصدد مثل قرار عضوية المرأة في مجلس الشورى والمجالس البلدية فإن قرارات أخرى تبدو استمرارا لما قبلها غير أن الناتج المتوقع لها يمكن له أن يجعلها قرارات تأسيسية نوعية ومن ذلك التوسع في عدد الجامعات لتبلغ ٢٤ جامعة، إضافة إلى جامعة البنات ولتشمل كافة المناطق وتحتوي مختلف التخصصات، هذا التوسع في الجامعات يعني في جوهره تيسير الطريق إلى الحصول على فرص التعليم العالي ومواجهة أزمة القبول في الجامعات ويعني في الوقت نفسه رفع نسبة التعليم في مختلف مناطق المملكة مما يؤدي إلى رفع نسبة الوعي ودرجة الكفاءة لدى المواطن السعودي، وبقدر ما يمكن أن يشكله عدد خريجي الجامعات من ضغط على طلب الوظائف التي تتناسب مع مؤهلات الخريجين بقدر ما يشكل ذلك التحدي حافزا لتوفير الفرص الوظيفية في القطاع الحكومي أو في القطاع الخاص ومن شأن توفير الفرص الوظيفية التي تستوعب الكفاءات العالية لخريجي الجامعات أن يساهم في رفع الإنتاجية والرقي بمختلف جوانب التنمية ويحد كذلك من الاعتماد على الخبرات المستقدمة والوافدة.

قرارات ومشاريع نوعية

يعتبر قرار الملك عبدالله منح المرأة فرصة عضوية مجلس الشورى وكذلك المجالس البلدية قرارا تاريخيا استثنائيا من حيث أنه قرار يعتد بقدرات المرأة ويستثمر هذه القدرات لما فيه خير الوطن ومثل هذا القرار يأتي تتويجا لما حصلت عليه المرأة السعودية من تعليم مكنها من أن يتم الاعتماد عليها للنهوض بعدد من المهام والمسؤوليات الكبرى التي برهنت من خلالها على قدرتها وتمكنها، كما يأتي القرار عرفانا بما حققته المرأة السعودية من مكانة تجاوزت حدود المملكة لكي تصبح خبيرة مؤهلة لتولي مناصب عالمية ومسؤوليات دولية. ومما يتصل بالقرارات النوعية برنامج الابتعاث الذي مكن لعشرات الآلاف من الطلبة والطالبات من الدراسة خارج المملكة وبالتالي حقق لهم فرصة الاحتكاك بشعوب وثقافات متنوعة من شأنها أن ترتقي بوعيهم وتفهمهم للحضارة الإنسانية. وقد استهدف برنامج الابتعاث تحقيق جملة من الأهداف لا يمكن حصرها في الشأن العلمي فحسب، ذلك أن وجود ما يزيد على المائة ألف طالب من طلابنا وطالباتنا في الخارج من شأنه أن يصحح الصورة النمطية المغلوطة عن السعوديين، فالطلاب يقدمون أنموذجا لشعب يحرص على المعرفة ويسعى لمراكز العلم ويتبادل مع مختلف الشعوب علاقات الود والاحترام المتبادل، كما أن توسيع دائرة الابتعاث إلى الشرق والغرب من شأنه أن يحقق للمملكة تنوعا من خلال التركيبة المختلفة للثقافات المتعددة والمتنوعة التي اكتسبها الطلاب خلال فترة ابتعاثهم. هذه القرارات المختلفة والمتنوعة أنموذج لغيرها من القرارات المؤسسة للمستقبل الذي نرى ملامحه واضحة في هذا العهد عهد الملك عبدالله بن عبدالعزيز.

جمال أمين

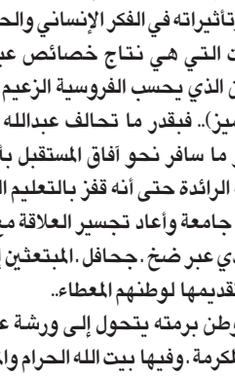

الشقيق وقت الضيق.. والرخاء أيضاً

«الصديق وقت الضيق».. هذه العبارة «الحكمة»، يقولونها لإثبات معادن الرجال ومواقفهم، ومروءة وشهامة الصديق الصدوق الذي يعطي من وقته ومروءته لصديقه، ولا يبالي من أجل من يحب. لكنني أقول إن «الشقيق وقت الضيق».. والرخاء أيضا، والشقيق هنا، هو فعلا شقيق وصديق صدوق لمصر ومحب لأهلها، تماما كما يحبه أهل الكنانة ويقدرونه، إنه خادم الحرمين الشريفين الملك الإنسان عبدالله بن عبدالعزيز، حفظه الله ورعاه، بما عرف عنه من إنسانية ومروءة وشهامة.

إن المتابع لمواقف أبي متعب مع مصر وأهلها، يجدها لا تعد ولا تحصى، لأنها مواقف صادرة من شقيق، معدنه في الرخاء كمعدنه في الشدة، المروءة والمساندة دائما ديدنه، والدليل على ذلك أن الملك المفدى، أيده الله، عندما أمر بحزمة المساعدات الاقتصادية لمصر، دعما لاقتصادها الذي أرهقته الأحداث الأخيرة بعد انهيار النظام السابق، إثر ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م، وأمره حفظه الله، بإيداع مليار دولار كوديعة في البنك المركزي المصري، لمساندة ميزانية مصر التي ازداد العجز المالي فيها، ليتجاوز ١٣ في المائة، وتآكل الفائض المالي، الذي تراكم في مصر على مدى السنوات العشرين الأخيرة، من ٣٤ مليار ريال إلى ما دون ٢٠ مليار دولار حاليا، فضلا عن هداياه المتعددة للشعب المصري مثل شحنات البوتجاز، للمساهمة في فك الأزمات المتتالية التي عانى منها شعب مصر في الفترة الأخيرة في هذا النوع من الوقود المنزلي، كل هذا يدل حقيقة على معدن الرجل ومروءته وشهامته. وهذا ليس بمستغرب من ملك الإنسانية، ذلك أن مواقف أبي متعب مع مصر والمصريين هي مواقف المحب، التي لا تنتهي، لأنها مواقف شقيق وصديق محب لمصر وأهلها، وهذا الحب هو امتداد لخطى الوالد المؤسس الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، رحمه الله تعالى، وأخيه الملك فيصل الذي ساند مصر في حرب رمضان المجيدة لاستعادة الكرامة العربية بعد نكسة ١٩٦٧.

ولعل الشواهد التاريخية والأثرية في مصر تؤكد على عمق ما يكنه وما يحمله المصريون لقادة هذه البلاد من محبة وإعزاز، فجناح الملك عبدالعزيز آل سعود في فندق «الأوبرج» في الفيوم، حيث التقى الملك المؤسس هناك رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل عام ١٩٤٥م، ثم التقى بعد ذلك الملك فاروق ملك مصر والسودان آنذاك، واحتفاظ الفندق بجناح الملك عبدالعزيز وصورته تتصدر ردهاته منذ ذلك التاريخ وحتى الآن في تلك القاعة التاريخية، وكذلك فإن شارع الملك عبدالعزيز آل سعود في حي الروضة في قلب القاهرة، وشارع وجسر الملك فيصل في محافظة الجيزة وافتخار المصريين، بكل تلك الشواهد دلالة على اعتزاز المصريين بعمق العلاقات التاريخية والمميزة بين البلدين الشقيقين وتقدير الشعب المصري لقادة هذه البلاد. ولعل الوفد الشعبي المصري الذي جاء إلى الرياض قبل أسبوعين، والذي ضم أكثر من ١٦٠ شخصية تمثل كل الأطياف والتيارات السياسية والاجتماعية للشعب المصري للقاء الملك عبدالله، في بادرة غير مسبوقة في التاريخ المصري، للإعراب له، أيده الله، عن مدى حب مصر وأهلها لشعب المملكة وقادتها العظام هو أحدث شاهد من مصر على تقدير مصر والمصريين للدور السعودي الأخوي، و للإعراب عن محبتهم للملك المفدى، واستنكارهم محاولات بعض القوى الإقليمية النيل من العلاقات المميزة التي تربط الرياض والقاهرة. باختصار إننا أمام شعبين، كل منهما وجه للآخر، فالمملكة ومصر «يد واحدة» في مواجهة أي محاولة للنيل من ترابطهما، فنحن أشقاء، وأصدقاء وأصحاب رحم، والشقيق لا يظهر فقط وقت الضيق، وإنما في كل الأحوال.

*كاتب مصري

فهيم الحامد

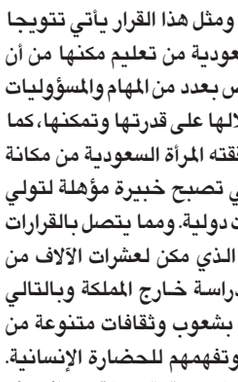

بلسم الشعوب وترياق الأمة

لم يكن اختيار خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله ضمن قائمة العشرة زعماء في العالم الأكثر تأثيرا مرات عدة اختيارا مفاجئا أو عشوائيا، خصوصا وأنه جاء من مراكز وهيئات عالمية تحظى بالاحترام والشفافية والمصداقية.

وربما يتساءل البعض لماذا اختير الملك عبدالله ضمن هذه القائمة.. وبالطبع سيكون الجواب طويلا.. لما للملك من شخصية تستلهم الحديث المستفيض، إذ أنه صديق شعوب العالم، والحريص على أمن واستقرار الشعوب، ليس هذا فحسب فالملك الحكيم يقرأ بعناية تطورات الأوضاع في المنطقة ويرصد بكفاءة البوصلة التي تتجه إليها السياسة العالمية. ولا يترك أي حدث دولي إلا ويسجل موقفه منه مهما كانت الظروف، انطلاقا من المسؤولية السياسية للمملكة، فهو من انتصر ونصر للشعب السوري، ووقف إلى جانبه ليثبت للسوريين أنهم ليسوا لوحدهم أمام آلة القمع الوحشية على يد النظام المجرم.

وقال لروسيا بشفافية إن استخدام روسيا والصين لحق النقض الفيتو ضد إدانة نظام الأسد «غير محمود» وهو موقف نادر وجريء لن ينساه المجتمع الدولي والسوريون على السواء.

اعتاد الملك عبدالله على مبدأ الصراحة والشفافية، فضلا عن الجرأة في الطرح، وفي هذا الإطار جاء توصيفه بأن ثقة العالم اهتزت بالأمم المتحدة، بعد ما جرى من فيتو روسي وصيني مزدوج، شعورا إنسانيا ويقظة وحنكة سياسية لتداعياته ليس فقط على مستقبل الشعب السوري بل على الأمن والسلم في المنطقة والعالم.

وفي كل مرة يؤكد الملك على بعده الإنساني، فوقفاته مع الشعوب العربية كثيرة، ومنها قراره إلغاء أوبريت الجنادرية، تضامنا مع الشعب السوري وكل الشعوب العربية في مصر وليبيا وتونس كان بمثابة البلسم .. ليس فقط للسوريين بل لشعوب المنطقة التي كان دائما قريبا منهم، يعيش معاناتهم وآلامهم ويؤكد أن ما يجري لها حاضر في عقل وقلب ووجدان صديق الشعوب.

ولن ينسى العالم جهوده في تعزيز التسامح والوسطية والاعتدال والحوار بين الأديان، وحرصه على إرساء قواعد سليمة للحوار بين الشعوب والحضارات والثقافات المختلفة، فطرح مبادرة حوار الأديان التي غيرت مفاهيم كثيرة في العلاقة بين الإسلام والغرب، ليعم السلام والرخاء كافة الشعوب، إذ أن مد جسور الحوار بين شعوب العالم على اختلاف دياناتهم أساس لتقارب الثقافات المختلفة.

ويدرك خادم الحرمين أن على كاهله مسؤوليات إقليمية، لا بد من التعامل معها بحنكة وحكمة سياسية، فهو يشعر بالتحديات التي تواجهها منطقة الخليج والمؤمرات الإقليمية التي تحاك بالمنطقة، ويستشعر بأهمية العلاقات الديموغرافية والحضارية والتاريخية والثقافية والاجتماعية والجيوسياسية، التي تربط أبناء الخليج الواحد. ومن هنا، طرح مشروع الاتحاد الخليجي ما عكس عن رؤية استراتيجية وسياسية وبعد نظر لمجريات الوضع في المنطقة والعالم بهدف بناء كتلة خليجية موحدة ذات وزن إقليمي ودولي، وجاءت فكرة الاتحاد الخليجي من كونه يعلم أن هناك القواسم المشتركة بين الخليجيين، وروابط الدين واللغة والثقافة والعادات، فضلا عن المصالح الاقتصادية المشتركة التي تحتم الإحساس بالمصير التاريخي الواحد.

بعد كل هذه الحقائق هل يحق لنا أن نتساءل: هل الملك عبدالله صديق شعوب العالم ودافع عن الحقوق المشروعة للأمة وكافح الإرهاب والظلم وحقق الرقي والتقدم والرخاء للمملكة والمنطقة والعالم؟! الإجابة تكمن في أفعاله التي اقترنت بالأقوال والتي كانت بمثابة البلسم لشعوب العالم والترياق للأمة الإسلامية.